

تفسير ابن كثير

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ
الْعَذَابُ^ج مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ

(أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء) أي : بل

كانوا تحت قهره وغلبته ، وفي قبضته وسلطانه ، وهو قادر على الانتقام منهم في الدار

الدنيا قبل الآخرة ، ولكن (يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) [إبراهيم : 42] ، وفي

الصحيحين : " إن الله ليملي للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته " ؛ ولهذا قال تعالى : (

يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) أي : يضاعف عليهم

العذاب ، وذلك لأن الله تعالى جعل لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ، فما أغنى عنهم سمعهم

ولا أبصارهم ولا أفئدتهم [من شيء] ، بل كانوا صما عن سماع الحق ، عميا عن اتباعه

، كما أخبر تعالى عنهم حين دخولهم النار : (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في

أصحاب السعير) [الملك : 10] ، وقال تعالى : (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله

زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) [النحل : 88] ؛ ولهذا يعذبون على كل

أمر تركوه ، وعلى كل نهى ارتكبه ؛ ولهذا كان أصح الأقوال أنهم مكلفون بفروع الشرائع أمرها ونهيها بالنسبة إلى الدار الآخرة .